كان يقبل أمثال هذه الإحالات ، بل يستحسنها أحيانًا ، ويبيح للشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال . ومن المستحسن في ذلك قول الشاعر :

وَثِقْتُ بِحَبْلٍ مِنْ حِبالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طارِقِ الحَدَثانِ

فَلَوْ تُسْأَلُ الأَيّامُ ما اسْمي ما دَرَتْ وَأَيْنَ مَكاني ما عَرَفْنَ مَكاني

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْري بِظِلٍّ جَناحِهِ فَعَيْني تَرى دَهْري وَلَيْسَ يَراني [1]

وربما لهذا تأرجح موقفُ النقاد بين الرفض والقبول لما أطلقوا عليه (الإغراق والإفراط) ، فمن الناس من يرى تميُّز الشاعر بمعرفته بوجوه الإغراق والغلو ، ومنهم من يراه محالا لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف ، وقد أنشد المبرِّد قول الأعشى :

فَلَوْ أَنَّ ما أَبْقَيْتِ مِنّي مُعَلَّقٌ بِعودِ ثُمامٍ ما تَأَوَّدَ عودُها

فقال : « هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبَّه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة . » [2]

والغلو – عند قدامة – هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجًا عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له ، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّ تَحفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ بُعْدَ الذِّراعَيْنِ والسّاقَيْنِ وَالهادي

---

(١) ابن وهب الكاتب : البرهان في وجوه البيان ، تحقيق حفني محمد شرف . القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٦٩ . ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) ابن رشيق : العمدة ، ج ٢ ، ص ٤٩ .